# التوحيد (٢)

## الدرس الرابع

### الباب ٢١ :باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

قال المؤلف رحمه الله:
وقول الله تعالى: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم) (٦٧) الآية

الشرح: أرسل الله تعالى نبيه الكريم من قريش، وما أرسل الله نبياً قبله إلا من قومه.
قوله: "عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ": "يَعِزُّ عَلَيْهِ الشَّيْءُ الَّذِي يَعْنَتُ أُمَّتَهُ وَيَشُقُّ عَلَيْهَا" تفسير ابن كثير (٢٤١/٤). فدينه قائم على اليسر والسماحة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ" رواه البخاري في صحيحه (١٦/١) برقم (٣٩).
وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: "الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ" رواه أحمد في مسنده (١٧/٤) برقم (٢١٠٨)، وهو صحيح.

قال المؤلف رحمه الله:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.
الشرح: فيه مسائل:

المسألة الأولى: النهي عن جعل البيوت كالقبور لا يصلى فيها، وقد ثبت عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا" رواه مسلم في صحيحه (٥٣٩/١) برقم (٧٧٧).

المسألة الثانية: تحريم جعل قبره صلى الله عليه وسلم مزاراً تقام عنده المناسبات والأعياد.

المسألة الثالثة: استحباب الصلاة والسلام عليه، في كل وقت، وتحري الأوقات التي يتأكد فيها الاستحباب، كيوم الجمعة؛ لما ثبت عَنْ أَوْسِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ" رواه أحمد في مسنده (٨٤/٢٦) برقم (١٦١٦٢)، وأبو داود في سننه (٢٧٥/٢) برقم (١٠٤٧)، والنسائي في سننه (٩١/٣) برقم (١٣٧٤)، وابن ماجه في سننه (٥٥٦/٢) برقم (١٦٣٦).

قال المؤلف رحمه الله:

وعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم". رواه في المختارة.

الشرح: سبق ذكر مباحثه.

## الباب ٢٢ :باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

قال المؤلف رحمه الله:

وقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) وقوله تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ) وقوله تعالى: (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا).

الشرح:
قوله: "نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ": أي التوراة والإنجيل.
قوله: "بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ": (والجبت: قيل: السحر، وقيل: هو الصنم، والأصح: أنه عام لكل صنم أو سحر أو كهانة أو ما أشبه ذلك
والطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع. فالمعبود كالأصنام، والمتبوع كعلماء الضلال، والمطاع كالأمراء؛ فطاعتهم في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله تعد من عبادتهم) القول المفيد على التوحيد لابن عثيمين (١/٤٥٥-٤٥٦).
قوله تعالى: "بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ": أي بشر مما ادعاه اليهود من أنهم أفضل هدياً من هدي النبي صلى الله عليه وسلم.
قوله تعالى: "مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ": عاقبهم الله تعالى بهذه العقوبات، لعنهم وغضب عليهم، ومسخ بعضهم إلى قردة وخنازير.
قال سبحانه: {٧٧} لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ{٧٨} كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ{٧٩} سورة المائدة.
وقال جل وعز: {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً }النساء٤٦.
عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: اللهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكِ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ، هِيَ مِمَّا مُسِخَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا، أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا، فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ" رواه مسلم (٤/٢٠٥١) برقم (٢٦٦٣).

قوله تعالى: "قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ": أي "الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ هُمْ أَصْحَابُ الْكَلِمَةِ وَالنُّفُوذِ" تفسير ابن كثير (١٤٧/٥).

قوله تعالى: "لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا": أي "رَأَوْا أَنْ يَكُونَ الْبِنَاءُ مَسْجِدًا لِيَكُونَ إِكْرَامًا لَهُمْ وَيَدُومَ تَعَهُّدُ النَّاسِ كَهْفَهُمْ" التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٩٠/١٥).

قال المؤلف رحمه الله:

عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن)؟ أخرجاه.

الشرح:

المسألة الأولى: لا يلزم من الاتباعِ، الاتباعُ في كل شيء، والمسلمون اتبعوا اليهود والنصارى في أمور كثيرة فقدوا معها هويتهم.

المسألة الثانية: من سنن الأمم السابقة التي تتبعها هذه الأمة، عبادة القبور وتعظيمها، وهو أمر منتشر ومشاهد في كثير من بلاد المسلمين.

قال المؤلف رحمه الله:

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضًا"، ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: "وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئة

من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى".

الشرح: فيه مسائل:

المسألة الأولى: قوله: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها"، والمعنى أن الله تعالى جمع له الأرض بقدرته سبحانه، حتى قرب مشارقها من مغاربها، فرآها النبي صلى الله عليه وسلم، ورأى ملك أمته.

المسألة الثانية: قوله: "وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم"، وقد استجاب الله تعالى لنبيه، فقال: "وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضًا".

المسألة الثالثة: قوله: "وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين": لكون الإمام له سلطة يقهر بها الناس ويحملهم على ما يضرهم في دينهم ودنياهم.

وصلاح الإمام صلاح للأمة، ولذا كان الدعاء للحاكم بالصلاح من أفضل القربات.

المسألة الرابعة: قوله: "وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة": مذ قتل عثمان رضي الله عنه والأمة من فتنة إلى أخرى.

المسألة الخامسة: قوله: "ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين": والحي يمثل القبيلة، وحصل أن التحق كثير من المسلمين ببلاد المشركين، وارتد من أولئك كثير.

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَرْجِعَ نَاسٌ مِنَ أُمَّتِي إِلَى أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ" رواه أبو داود الطيالسي في مسنده.

المسألة السادسة: قوله: "وحتى تعبد فئة من أمتي الأوثان" وهو منتشر في بلاد المسلمين، حيث تكثر الأضرحة التي يصرف لها أنواع من العبادات، كالاستغاثة وذبح القربان وغيرها.

المسألة السابعة: قوله: "وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي"، "ظهر بعضهم، وبعضهم ينتظر؛

لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحصرهم في زمن معين، وما دامت الساعة لم تقم؛ فهم ينتظرون" القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٤٧٩/١).

المسألة الثامنة: قوله: "ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى"، عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ" متفق عليه.

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ" رواه مسلم.

من خصائص الطائفة المنصورة:

أولاً: أنهم جزء من الأمة وليس كلها، لقوله: طائفة.

ثانياً: أنهم يقومون بأعباء الدعوة إلى الله تعالى، ولا يتأثرون بمن يخالفهم؛ لحديث ثوبان، وفيه: "لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ".

ثالثاً: أنهم باقون حتى يقاتلون الدجال؛ لما ثبت عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ" رواه أحمد وأبو داود.

قوله: "حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ"، المراد بها الريح التي تقبض أرواح المؤمنين في آخر الزمان.

معهد العلوم الشرعية العالمي